

المحاضرة السادسة: الأصل الخامس عند المعتزلة – الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

تمهيد

يمثل أصل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر البعد الاجتماعي والسياسي في منظومة المعتزلة. فإذا كانت الأصول السابقة تتناول التوحيد والعدل والجزاء ووصف مرتكب الكبيرة، فإن هذا الأصل يبين كيف ينبغي أن يتحول الاعتقاد إلى مسؤولية عامة في إصلاح المجتمع ومقاومة الظلم والفساد. وهو أصل له جذور قرآنية واضحة، منها قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران: 104].

أولاً: مفهوم المعروف والمنكر

المعروف هو ما استحسنته الشرع والعقل السليم، والمنكر هو ما قبحه الشرع أو العقل أو استقر قبحه في الفطرة الإنسانية السوية. وبما أن المعتزلة أثبتوا للحسن والقبح أصلاً عقلياً، فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا ينحصران في نقل الأحكام، بل يشملان الدفاع عن العدل والصدق والأمانة، ومقاومة الظلم والكذب والعدوان. [1] وليس المقصود بالأمر والنهي مجرد الوعظ الفردي، بل إقامة مجتمع يملك معايير أخلاقية عامة. غير أن تطبيق الأصل لا يكون مشروعاً عندهم بلا ضوابط؛ إذ يشترط العلم بالمعروف والمنكر، والقدرة على التأثير، وغلبة الظن بانتفاء مفسدة أكبر، ومراعاة المصلحة العامة. [1] [2]

ثانياً: الأصل ومسؤولية الفرد والجماعة

يفرض هذا الأصل على المسلم ألا يكون سلبياً تجاه فساد ظاهر أو ظلم متحقق، لكنه لا يحول كل فرد إلى سلطة مستقلة تفرض رأيه بالقوة. فالقدرة شرط جوهري، والإنكار يتدرج من القلب إلى القول إلى الفعل بحسب الاستطاعة والنتيجة المتوقعة. ومن هنا تتداخل في الأصل عناصر دينية وأخلاقية واجتماعية وقانونية، ويصبح الإصلاح مسؤولية جماعية لا مجرد اندفاع عاطفي.

ثالثاً: الصلة بالعدل ومقاومة الظلم

يرتبط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأصل العدل؛ لأن السكوت عن الظلم، إذا توافرت القدرة وانتفت المفسدة الأكبر، يناقض مبدأ إقامة العدل. وقد اتخذت هذه الفكرة لدى بعض المعتزلة أبعاداً سياسية، فناقشوا شرعية مقاومة الحاكم الجائر، وحدود الطاعة، ومسؤولية العلماء والجماعة. لكن لا يصح تعميم موقف واحد على جميع المعتزلة؛ فقد اختلفوا في شروط الخروج، وفي تقدير القدرة والمصلحة، وفي العلاقة بين الإصلاح السلمي والمواجهة السياسية. [3]

كما أن تاريخ المعتزلة يبين أن الانتساب إلى مبدأ الإصلاح لا يمنع وقوع التوتر بين النظرية والممارسة، ولا سيما في زمن المحنة العباسية. ولذلك ينبغي دراسة الأصل بوصفه مبدأ معيارياً في الفكر المعتزلي، لا بوصفه وصفاً كاملاً لسلوك كل المنتسبين إلى المدرسة في كل عصر.

رابعاً: الضوابط الأخلاقية للتطبيق

يقتضي التطبيق الرشيد لهذا الأصل خمسة ضوابط مترابطة: التثبت من حقيقة المنكر، والتمييز بين القطعي والمختلف فيه، وتقديم النصيحة بالحكمة، وتقدير القدرة والنتائج، ومنع تحول الإنكار إلى اعتداء أو استعلاء أو

تكفير. وهذه الضوابط ليست هامشية، بل تحفظ مقصد الإصلاح من أن ينقلب إلى مفسدة أعظم. كما تؤكد أن الأمر بالمعروف لا يختص بعيوب الآخرين، بل يبدأ بإصلاح الذات والالتزام بالمعروف قبل دعوة الناس إليه.

خامسًا: الأهمية الفكرية

تكمُن أهمية هذا الأصل في أنه يمنح علم الكلام صلة مباشرة بالمجال العمومي. فالتوحيد والعدل لا يبقيان أفكارًا مجردة، بل ينعكسان في تصور السلطة والواجب الأخلاقي وحقوق الجماعة. كما يسهم الأصل في بناء مفهوم مبكر للمسؤولية المدنية، يقوم على أن المجتمع لا يستقيم إذا تُرك الظلم والفساد دون مقاومة. وفي المقابل، فإن حساسية الأصل السياسية تفرض قراءته بوعي تاريخي وقانوني، حتى لا يُستعمل لتبرير الفوضى أو مصادرة اختلاف الناس في المسائل الاجتهادية.

خاتمة

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الأصل الذي ينقل المعتزلة من ميدان الاعتقاد إلى ميدان العمل الاجتماعي. إنه دعوة إلى الإصلاح ومقاومة الظلم، لكنه مشروط بالعلم والقدرة والمصلحة وانتفاء الضرر الأكبر. وبذلك يكتمل البناء المعتزلي: توحيد ينزه الله، وعدل يثبت المسؤولية، ووعد ووعيد يرسخان الجزاء، ومنزلة تميز بين الإسلام والفسق، ثم مسؤولية اجتماعية تحمي القيم في الواقع.

مراجع المحاضرة السادسة

- [1]: القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، [نسخة رقمية](#).
- [2]: Shalahudin Kafrawi, “Mu‘tazilites, Mu‘tazila,” *Encyclopedia of Islam and the Muslim World*, [الرابط](#).
- [3]: Daniel Gimaret, “Mu‘tazila”, *Encyclopaedia of Islam, Second Edition*, نص إلكتروني متاح كاملاً عبر [Islamic Philosophy Online](#).

قائمة مراجع عامة للاستزادة

القاضي عبد الجبار بن أحمد، شرح الأصول الخمسة، تحقيق عبد الكريم عثمان، القاهرة: مكتبة وهبة، 1965؛ والنسخة الرقمية متاحة عبر [Internet Archive](#).

أمل عبد الفتاح حسين إشتيه، حركة المعتزلة: دراسة تاريخية منهجية في كتب التاريخ والملل والنحل من القرن الثاني حتى السادس الهجري/القرن الثامن حتى الثاني عشر الميلادي، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، 2021. النص والبيانات متاحان عبر [المستودع الجامعي](#)، وملف PDF [المباشر](#).

Daniel Gimaret, “Mu‘tazila”, *Encyclopaedia of Islam, Second Edition*, نص إلكتروني متاح كاملاً عبر [Islamic Philosophy Online](#).

Shalahudin Kafrawi, “Mu‘tazilites, Mu‘tazila”, *Encyclopedia of Islam and the Muslim World*, مدخل متاح كاملاً عبر [Encyclopedia.com](#).

Shalahudin Kafrawi, “Mu‘tazilites, Mu‘tazila”, *Encyclopedia of Islam and the Muslim World*, مدخل متاح كاملاً عبر [Encyclopedia.com](#).

القاضي عبد الجبار بن أحمد، شرح الأصول الخمسة، تحقيق عبد الكريم عثمان، القاهرة: مكتبة وهبة، 1965. أُحيل في هذا الملف إلى النسخة الرقمية المتاحة للتصفح والتحميل عبر [Internet Archive](#)، التي تعرض ملفات PDF و Full Text و OCR.

معيّار الإتاحة: اقتصر هذا الإصدار على المصادر التي أمكن التحقق من صفحاتها الإلكترونية أو ملفاتها الرقمية مباشرة. وقد استُبعدت المراجع التي لا تتوفر لها نسخة كاملة أو صفحة مؤسسية/موسوعية قابلة للتصفح، حتى إن كانت معروفة في الدراسات المتخصصة.

تنبيه توثيقي: أرقام الصفحات في الكتب التراثية قد تختلف باختلاف التحقيق والطبعة؛ لذلك أُحيل في المحاضرات إلى اسم الكتاب والباب أو الموضوع، مع تثبيت بيانات الطبعة حيث أمكن، وهو أسلوب أدق من نقل أرقام صفحات غير موحدة بين النسخ.